مَحبَّةُ الوُلاةِ والدِّفاعُ عَنْهُمْ

مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الإِيمَانِ: الْمَحَبَّةُ فِي اللهِ تَعَالَى، وَلِذَلِكَ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

وَإِذَا أَحَبَّ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ للهِ ذَاقَ أَثَرَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ رَاحَةً وَاطْمِئْنَانًا، وَنَالَ فِي الآخِرَةِ الأَجْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي أعَدَّهُ اللهُ لِلْمُتَحَابِّينَ فِيهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي**» [رواه مسلم عن أبي هريرة].

فَالْمَحَبَّةُ تُورِثُ الائْتِلاَفَ وَالْمَوَدَّةَ، والتَّعَاوُنَ وَالرَّحْمَةَ، فَتَسْعَدُ الْمُجْتَمَعَاتُ وَالأُمَمُ وَالأَفْرَادُ، بَلْ كُلُّ قَوْمٍ إِذَا تَحَابُّوا تَوَاصَلُوا، وَإِذَا تَوَاصَلُوا تَعَاوَنُوا، وَإِذَا تَعَاوَنُوا عَمِلُوا، وَإِذَا عَمِلُوا عَمَّرُوا، وَإِذَا عَمَّرُوا عَمَّرُوا وَبُورِكَ لَهُمْ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ: لَيْسَ الْحُبُّ كَلِمَةً تُقَالُ، وَإِنَّمَا هُوَ وَاقِعٌ يَعِيشُهُ الْمُحِبُّ لِحَبِيبِهِ، يُورِثُ نُصْحًا وَإِرْشَادًا، وَبَذْلاً وَعَطَاءً، وَتَضْحِيَةً وَإِيثَارًا، وَتَفَقُّدًا وَدُعَاءً، إِنَّهَا مَعَانٍ عَظِيمَةٌ تَظْهَرُ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ، وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ هَذَا الْعَمَلُ عَظِيمًا كَانَ الْجَزَاءُ عَلَيْهِ كَبِيرًا مِنَ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ؛ بِأَنْ يُظِلَّهُمُ اللهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ: عِنْدَمَا نَتَحَدَّثُ عَنْ مَحَبَّةِ الْوُلاَةِ وَالدِّفَاعِ عَنْهُمْ نَعْنِي بِذَلِكَ وُلاَةَ أَمْرِنَا فِي هَذِهِ الْبِلاَدِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، وَمَحَبَّتُهُمْ لَمْ تَأْتِ مِنْ فَرَاغٍ أَوْ مُجَامَلَةً، بَلْ وَاقِعٌ مَلْمُوسٌ يَسْتَنِدُ عَلَى الْمَحَبَّةِ الْخَالِصَةِ للهِ تَعَالَى وَالَّتِي نَرْجُو بِهَا الثَّوَابَ وَالأَجْرَ مِنَ اللهِ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذينَ تُحِبُّونَهُم ويُحبُّونكُم، وتُصَلُّونَ علَيْهِم ويُصَلُّونَ علَيْكُمْ، وشِرَارُ أَئمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ ويُبْغِضُونَكُمْ، وتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**» قَالَ: قُلْنا: يَا رسُول اللَّهِ، أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ؟ قَالَ: «**لاَ، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ، لاَ، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ**» رَوَاهُ مسْلِم.

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «نَهَانَا كُبَرَاؤُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ لاَ تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ، وَلاَ تَغُشُّوهُمْ، وَلاَ تُبْغِضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا؛ فَإِنَّ الأَمْرَ قَرِيبٌ».

فَمَحَبَّتُنَا وَطَاعَتُنَا لِوُلاَتِنَا وَوَلاَؤُنَا لَهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ، وَهُوَ شَرَفٌ نَعْتَزُّ بِهِ، نَعْتَقِدُهُ وَنُعْلِنُهُ وَلاَ نَكْتُمُهُ.

نَحْنُ شَعْبُ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ نُحِبُّ وُلاَةَ أَمْرِنَا، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالتَّوْفِيقِ، وَلاَ نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَلاَ نُنَازِعُهُمُ الأَمْرَ، وَلَوْ خَاضُوا بِنَا الْبَحْرَ نُصْرَةً لِلدِّينِ، وَدِفَاعًا عَنِ الْوَطَنِ، لَخُضْنَاهُ مَعَهُمْ مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَنَحْن سِلْمٌ لَمَنْ سَالَمَهُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَلاَ نَلْتَفِتُ لأَيِّ تَهْيِيجٍ أَوْ حَسَدٍ أَوِ اسْتِهْدَافٍ يَصْدُرُ مِنْ أَيِّ جِهَاتٍ أَوْ قَنَوَاتٍ مُعَادِيَةٍ لِبِلاَدِنَا وَقَادَتِنَا وَمُجْتَمَعِنَا، بَلْ ذَلِكَ يَزِيدُنَا مَحَبَّةً لِوُلاَةِ أَمْرِنَا وَارْتِبَاطًا بِهِمْ، وَاضِعِينَ نُصْبَ أَعْيُنِنَا وَصِيَّةَ نَبِيِّنَا -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وَهِيَ قَوْلُهُ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**» رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَسَبَبُ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ: أَنَّهُمْ أَقَامُوا الدِّينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ وِلاَيَتِهِمْ؛ نَصَرُوا التَّوْحِيدَ وَالسُّنَّةَ، وَخَدَمُوا الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَالْمَشَاعِرَ الْمُقَدَّسَةَ، وَتَكَفَّلُوا بِطِبَاعَةِ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ، وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَأَقَامُوا الْمُسَابَقَاتِ الْمَحَلِّيَّةَ وَالدَّوْلِيَّةَ لِحِفْظِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَدَعَمُوهَا، وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ فَإِنَّ مَحَبَّتَهُ مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الإِيمَانِ؛ فَكُلُّ مُسْلِمٍ يَنْصُرُ دِينَ اللهِ فَإِنَّ حُبَّهُ مِنَ الإِيمَانِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»؛ وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- نَصَرُوا دِينَ اللهِ، وَهَذَا لَيْسَ خَاصًّا بِالأَنْصَارِ، بَلْ كُلُّ مَنْ تَمَسَّكَ بِدِينِ اللهِ، وَنَصَرَهُ، فَإِنَّ حُبَّهُ فِي اللهِ دِينٌ وَإِيمَانٌ، وَبُغْضُهُ ضَلاَلٌ وَنِفَاقٌ.

وَلاَ نَعْلَمُ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ نَظِيرًا لِقَادَتِنَا فِي الْمَمْلَكَةِ مِنْ جِهَةِ نُصْرَةِ التَّوْحِيدِ، وَخِدْمَةِ الإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ كُلَّ مُحِبٍّ لِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، يُحِبُّهُمْ وَيَدْعُو لَهُمْ، سَوَاءً كَانَ سُعُودِيًّا أَوْ غَيْرَ سُعُودِيٍّ.

وَهُمْ لَهُمْ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةٌ، وَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ بِطَاعَتِهِمْ فِي الْمَعْرُوفِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء:٥٩].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيما أَحَبَّ وكَرِهَ، إلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طاعَةَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

بَلْ حَتَّى لَوْ رَأَى الإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ فَإِنَّهُ مَنْهِيٌّ شَرْعًا عَنْ مُفَارَقَةِ الإِمَامِ أَوِ التَّهْيِيجِ عَلَيْهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ: «**مَن كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ؛ فإنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً**».

وَتَعَامُلُنَا مَعَ وُلاَةِ أَمْرِنَا عَقِيدَةٌ نَدِينُ اللهَ بِهَا، وَلَيْسَ لأَجْلِ دُنْيَا أَوْ مَصَالِحَ فِيهَا إِنْ أَعْطَوْنَا رَضِينَا، وَإِنْ لَمْ يُعْطُونَا سَخِطْنَا وَنَابَذْنَا! كَلاَّ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»، وَعَدَّ مِنْهُمْ: «**رَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ**» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

وَنَعْلَمُ وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مِنْ لَوَازِمِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ: الدِّفَاعَ عَنْ وُلاَةِ أَمْرِنَا حُمَاتِنَا وَحُرَّاسِ عَقِيدَتِنَا وَمُقَدَّسَاتِنَا بِالذَّبِّ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، وَصَدِّ كُلِّ مَنْ أَرَادَ تَشْوِيهَ سُمْعَتِهِمْ بِمَا نَسْتَطِيعُهُ، وَنُحَذِّرُ وَنَحْذَرُ مِنْ كُلِّ حَمْلَةٍ مَسْعُورَةٍ تُرِيدُ وُلاَةَ أَمْرِنَا وَبِلاَدَنَا، وَعَلَيْنَا أَنْ نَتَعَاوَنَ مَعَ وُلاَةِ أَمْرِنَا وَلاَ نَتَهَاوَنُ فِي هَذَا الْجَانِبِ الْمُهِمِّ، وَأَيْضًا: نُرَبِّي أَوْلاَدَنَا عَلَى مَحَبَّةِ وُلاَةِ أَمْرِنَا وَطَاعَتِهِمْ وَالدِّفَاعِ عَنْهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ رَبَّانِيٌّ، وَأَنَّ فِي طَاعَتِهِمْ وَالدِّفَاعِ عَنْهُمْ حِفْظًا لِلدِّينِ وَالْعَقْلِ وَالنَّفْسِ.

وَخِتَامًا ... أُذَكِّرُ نَفْسِي وَكُلَّ مُوَاطِنٍ سُعُودِيٍّ بِنِعْمَةِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَيْنَا فِي هَذَا الْبَلَدِ الْمُبَارَكِ وَالْوَطَنِ الْمُبَارَكِ، وَعَلَى مَا نَعِيشُهُ مِنْ أَمْنٍ وَأَمَانٍ وَسَلاَمَةٍ وَإِسْلاَمٍ وَعَافِيَةٍ، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ جَدِيرٌ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَذْكُرَهَا، وَأَنْ نَشْكُرَ الْمُنْعِمَ جَلَّ فِي عُلاَهُ؛ فَإِنَّ الشُّكْرَ مُؤْذِنٌ بِالْمَزِيدِ، {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم:٧].

جمعه

محمد بن سليمان المهوس

الدمام

١٤٤٠هـ